مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: نظرية الجوهر الفرد عند المتكلمين والعلم الحديث دراسة تحليلية نقدية
اسم الكاتب: عهد موفق الكاتب، د. مدين الهواري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/1852
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 00:34 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

نظرية الجوهر الفرد عند المتكلّمين والعلم الحديث
دراسة تحليليّة نقديّة

اسم الطالبة: **اسم المشرف:**

عهد موفق الكاتب* **د. مدين الهواري****

الملخص

يتناول البحث نظرية الجوهر الفرد والعلم الحديث بالدراسة تأصيلاً للجذور العربية له عند المتكلمين المسلمين، وحدود هذا المفهوم مع الذرّية اليونانية، ثمّ انتقل البحث إلى ذكر آراء بعض المستشرقين بذرّية المسلمين، ثمّ ذكر أقوال العلماء المتكلمين بالجوهر الفرد من مثبتين ومنكرين له، مع بيان الأدلة التي اعتمد عليها العلماء، ثمّ انتقل البحث إلى توضيح علاقة علم الطبيعيّات بالجوهر الفرد، ثمّ تحدث البحث عن آراء بعض العلماء المسلمين المعاصرين بالجوهر الفرد، وأعقب ذلك الحديث عن المفهوم الرياضي للجوهر الفرد.

الكلمات المفتاحية: الجوهر الفرد . الطبيعيّات . العلماء . المسلمين . المعاصرين .

* طالبة في درجة الماجستير–جامعة دمشق– كلية الشريعة – قسم العقائد والأديان.

** قسم العقائد والأديان – كلية الشريعة – جامعة دمشق.

Theory of the essence of individual among Muslim scholars and modern science comparative analytical study

Supervisor:
D . Madian ALhawari

Done by:
Ahed Moafak Al Kateb*

Abstracts

The research deals with the theory of the individual essence and modern science by studying the Arab roots of it among Muslim scholars, And this concept limits the Greek offspring , Then the research moved to mentioning the opinions of some orientalists on the offspring of Muslims, Then the research move to explain relationship of scholars who speak of the individual essence of those who prove and deny it, With statement adopted by scholars, and clarify the relationship of Physics to the individual essence, Then it talk about the opinions of some Contemporary Muslim scholars about the individual essence ,This was followed by discussion of the mathematical concept of the individual essence .

Key words: the individual essence- scholars- Muslim-contemporary.

* M A student specialization Belifs and religion .Damascus University/Al-Shariah Coleage/Department of Doctrines and Religions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

بحث المتكلّمون المسلمون في أمرين أساسيين هما الإلهيّات والطبيعيّات، ففي الإلهيّات بحثوا في صفات الباري وأفعاله... وسُميت مباحث جليل الكلام، وسُميت المباحث التي تُعنى بمعالجة ما يُعرف بالطبيعيات بمباحث دقيق الكلام، منطلقين من هدي قرآني عقدي يميّز منهجهم ورؤيتهم واجتهادهم، معتمدين على أسس عقلية ، ولقد وَظّف المتكلّمون المسلمون مصطلح (الجوهر الفرد – الذرة – الجزء الذي لا يتجزأ) على نطاق واسع في دقيق الكلام لإثبات مسألة أساسيّة، ألا وهي دليل حدوث العالم لإثبات وجود الله تعالى. وقد أردت البحث في نظرية الجوهر الفرد لدى المتكلمين ومدى ارتباطها بالتطور العلمي الحديث.

مشكلة البحث:

ينبئنا عنوان البحث عن مشكلته، فالجوهر الفرد ودليل الحدوث يُثار حولهما الإشكالات التي هي مدار البحث، وأبرز ما سيحاول البحث الإجابة عنه يمكن اختصاره بالآتي:

- هل أصل الجوهر الفرد الاسلامي عربي، وإذا كان كذلك فما علاقته بذرّية اليونان؟
- ما هو رأي المستشرقين في أصل ذرية المسلمين ؟
- هل يتفق المتكلمون المسلمون على إثبات الجوهر الفرد، وما أدلتهم على ذلك؟
- هل يرتبط الجوهر الفرد بنظريات العلم الحديث، ومن يؤيده من العلماء المعاصرين؟

وسيقوم البحث بالإجابة عن هذه التساؤلات وِفق ورودها.

أهميّة البحث:

ترجع أهمية البحث في نظرية الجوهر الفرد إلى الاختلاف القائم بين مؤيديه ومنكريه، وهو اختلاف مشروع ويأخذ مشروعيّته من تطلُّع العقل الإنساني للمعرفة، وقدرته على إثبات النتائج المختلفة من المقدمات الواحدة، وتبرز أهميّة الجوهر الفرد داخل علم الكلم

الإسلامي تحديداً بين أنصار الجوهر الفرد وخصومه في منهجهم المؤدي للنتائج في إثبات الجوهر الفرد كونه من أدلة إثبات وجود الصانع وإثبات حدوث العالم، مع تبيين وجهة نظر علماء معاصرين بإثبات الجوهر الفرد وارتباطه بالعلوم الأخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان آراء المتكلمين المسلمين المثبتين للجوهر الفرد والنافين له، وكذلك يهدف لذكر خصائص وأحكام الجوهر الفرد، ويهدف أيضاً إلى بيان علاقته بعلم الطبيعيّات، مع رأي بعض العلماء المعاصرين فيه، ويهدف لتوضيح المفهوم الرياضي للجوهر الفرد.

الدراسات السابقة:

دُرست نظرية الجوهر لدى متقدمي ومتأخري العلماء وأُلّفَ فيها الكثير مثل : 1ـ مذهب الذرية عند المتكلمين المسلمين للدكتور باسل الطائي. 2 .نظرية الجوهر الفرد للدكتور خالد الدرفوفي .

ويأتي هذا البحث لتوضيح أنّ الخلاف في إثبات الجوهر الفرد، هو فقط في درجة التنظير والإحكام الجدلي .

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في جُلّ البحث، كما لجأت إلى المقارنة في بعض المواضع.

طريقة الكتابة:

لم تخرج الباحثة عن الطريقة المتعارف عليها في كتابة الأبحاث من توثيق وتخريج وفهرسة، والالتزام بحدود الموضوع فلم تذكر رأي الفلاسفة المسلمين في المسألة سواء النافين مثل ابن رشد وابن سينا، ولا أيضاً المثبتين، وقد ترجمت لأغلب الأعلام والمتكلمين والمصطلحات، واكتفت بذكر تاريخ الوفاة للمشاهير منهم، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفق الخطة الآتية:

خطة البحث: قُسّم البحث إلى مبحث تمهيدي وثلاثة مباحث متضمنة عدة مطالب بالإضافة للخاتمة مع التوصيات والنتائج، وفق الآتي :

مبحث تمهيدي: الجذور الأصيلة للجوهر الفرد لدى المتكلمين.

المبحث الأول: آراء المتكلمين في الجوهر الفرد وفيه:

المطلب الأول: آراء المتكلمين المثبتين للجوهر الفرد وفيه:

أولاً: المعتزلة والقول بالجوهر الفرد.

ثانياً: الأشاعرة والقول بالجوهر الفرد.

ثالثاً: الماتريدية والقول بالجوهر الفرد.

المطلب الثاني: آراء المتكلمين النافين للجوهر الفرد.

المبحث الثاني: أدلة المثبتين والنافين للجوهر الفرد وفيه:

المطلب الأول: أدلة المثبتين للجوهر الفرد.

المطلب الثاني: أدلة نُفاة الجوهر الفرد.

المبحث الثالث: نظرية الجوهر الفرد في منظور العلم الحديث وفيه.

المطلب الأول: علاقة علم الطبيعيات بالجوهر الفرد.

المطلب الثاني: رأي بعض العلماء المسلمين المعاصرين بالجوهر الفرد.

المطلب الثالث: المفهوم الرياضي للجوهر الفرد.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث التمهيدي: الجذور الأصيلة للجوهر الفرد لدى المتكلمين:

كثيراً ما يعترض المستشرقون ويستنكرون على المتكلمين المسلمين البرهنة على أصالة مبدأ الجوهر الفرد، ويستكثرون عليهم أن يقوموا بوضع كل المفاهيم والمفردات التي جاءت في علم الكلام، مدّعين اقتباسها من فلسفات يونانية أو هندية، وكأنّ العلوم والمصطلحات انعقدت لغيرهم وحسب، في حين نجد أن تمحيصاً دقيقاً يُظهر أن أصل

الجوهر الفرد لدى المتكلمين الأوائل يعود لأبي هذيل العلاّف (ت 234 هـ) أي في حدود نهاية القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي[1].

إذ يعرض /هاري ولفسون/ [2] في كتابه (فلسفة المتكلمين) مقابلات للمفردات العربية مع مفردات يونانية، مثل (جوهر) يقابلها SUBSTANCE في اللاتينية، ويحاول تفسير الفروق الجوهرية مع المذهب اليوناني المترجم بفرضية جديدة، وأنّ هذه الفروق ترجع إلى التراث اليوناني العاميّ غير المدوّن الذي اطلع عليه المسلمون أثناء احتكاكهم بمدارس حرّان في سوريا وجُند يسابور في فارس وغيرها . [3]

ثم بعد ذلك يتلفَّق وينقل بدون دقّة من كتاب الملل والنحل لابن حزم ذِكره عبارة فَهِم منها أن مفاهيم الكلام في الذريّة تعود إلى[بعض الأوائل] وأوّلَها تأويلاً [ديمقريطس] [4] لتصبح بعيداً عن المقصود الذي قصده ابن حزم.[5]

ويستدرك ولفسون وجود فروق جوهرية بين الذرة اليونانية والذرة الإسلامية ، فعلى سبيل المثال الفرق في الحجم والزمن والعدد، وكذلك فارق جوهري بأنّ لذرة المسلمين كينونة وجودية حقيقية واحدة مع صفاتها، على حين أن الثانية هي كينونة تجريدية تأخذ معناها الوجودي بعد احتمالها للعرض. [6] كما سيأتي بيان صفاتها في المباحث التالية.

---

[1]– انظر: أبو هذيل العلّاف وآراؤه الكلامية والفلسفية . طلعت الأخرس . مكتبة الأخرس . دار خضر للطباعة والنشر بيروت . ط1 1994م ص 74

[2]– هاري ولفسون : امريكي من اصل روسي – مؤرخ لفلسفة العصور الوسطى اليهودية المسيحية والاسلامية (ت 1974م)انظر: موسوعة عبد الرحمن بديوي 1992م 2/108.

[3]–نظريّة الجوهر الفرد الكلاميّة وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث – خالد الدرفوفي – الرابطة المحمدية للعلماء – مركز أبي الحسن الأشعري – ص 12

[4]– ديمقريطس: فيلسوف يوناني– عاش في القرن 4 قبل الميلاد تلميذ لوقيبوس – عاصر سقراط (ت 370 ق.م)انظر: الموسوعة العربية للعلوم الإنسانية والفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد . المجلد التاسع .

[5]– انظر – قول ابن حزم : (وذهب النظام وكل من يحسن القول من الأوائل إلى أنه لا يجزء، وإن دقّ إلا وهو يحتمل التجزيء أبداً بلا نهاية) الملل والنحل – ابن حزم 5/85 انظر – فلسفة المتكلمين – ولفسون – ترجمة لبيب عبد الغني – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ط1 ، 2005 – 2/630 .

[6]– الذرة عند اليونانيين ذات حجم ، أزلية ليس لوجودها بداية في الزمان، لا نهائية العدد ، بينما الذرة عند المتكلمين المسلمين عديمة الحجم (على رأي المعتزلة)، مخلوقة (محدثة) لها بداية في الزمان، ومعدودة.

ثم نجد المستشرق الاسباني /بانيس/[1] قد حذا حذو سابقه /ولفسون/ فقد خصّ نظرية المتكلمين في الجوهر الفرد بكتابه (مذهب الذرة عند المسلمين) وأخذ يبحث عن أصول هذا المذهب لدى حكماء الهند واليونان، لكنه توصّل لحياديّة علميّة فيقول:(من الواضح أن القول بالتشابه بين مذهب الجوهر الفرد عند المسلمين ونظيره عند اليونانيين في الحقيقة هو مجرد التشابه بين المذهبين من حيث الاسم). [2]

وها هو البيروني لا نجد له ذكراً لمذهب الهنود في هذا الموضوع، بل يشير إلى أنّه كان منهم من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد، ويذكر مذاهبهم في النجوم والكواكب ونحو ذلك. [3]

ومما يجعلنا أكثر يقيناً في نفي الأثر الهندي قول القِفْطِي : (ولبعد الهند عن بلادنا قلّت مؤلفاتهم عندنا، فلم يصل إلينا إلاّ طرفٌ من علومهم) [4]

فالمسلمون عرفوا آراء ديمقريطس الفلسفية وترجموا له كما فعل الشهرستاني (ت 548هـ)، إنما لم يطّلعوا على آرائه عند إنشائهم للذريّة الإسلامية.

أما النشّار فهو الذي أكدّ أصالة المذهب عند مقارنته بمذاهب الهنود فإنّه يقول:(هذه أوّل نظرية ذريّة، أو نظرية في الجوهر الفرد عند المسلمين، ومن خَرْق القول أن نقول إنّ أبا الهذيل العلاف اكتشفها، إنّ للنظرية سوابق كبرى في تاريخ الفكر الفلسفي عامة ... لقد وجد أبو الهذيل العلاّف الفكرة أمامه فاستخدمها ببراعة نادرة، وإنّنا لا نستطيع

---

[1]– شلومر بانيس : فيلسوف ومستشرق يهودي اهتم بدراسة التراث الفلسفي العربي واليهودي (ت 1990 م في القدس).

[2]– مذهب الذرة عند المسلمين – شلومر باينس – ترجمة محمد علي أبو ريدة – مكتبة النهضة المصرية 1946 م ، ص 121

[3]– انظر: الفلسفة الهندية مع المقارنة بفلسفة اليونان والتصوّف الإسلامي . أبو الريحان البيروني . مراجعة د. عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم خفاجي ، مطبعة أحمد عيسى مخيمر، ص 36.

البيروني : محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف ومؤرخ ورياضي أقام بالهند بضع سنين (ت 440 هـ)انظر: الأعلام، للزركلي314/5

[4]– إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي – مطبعة السعادة – مصر 1326 هـ ، ص 175 . القفطي : أبو الفضائل يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني المصري، مؤرخ ، طبيب(ت 624 هـ) 212/8

على الاطلاق أن نقول إنّ المذهب نبع كاملاً من أعماق فكر أبي هذيل، ونشأ نشأة مستقلة بعيدة عن كل مؤثر خارجي). [1]

بناءً على ما سبق لا يمكن إنكار وجود تأثير خارجي لمذهب الذرية لدى المتكلمين المسلمين، خصوصاً المتأخرين منهم – عندما خلطوا مباحثهم بالفلسفة والمنطق – كما هو حال الفكر الإنساني عموماً، إلاّ أنّ ادعاء كونها في أصلها نظرية خارجة عن جذور إسلامية فهو تعميم وتعسف وتجوّز.

المبحث الأوّل: آراء المتكلمين في الجوهر الفرد.

المطلب الأول: المتكلمون المثبتون للجوهر الفرد .

أولاً: المعتزلة والقول بالجوهر الفرد:

إنّ أوّل متكلمي المعتزلة الذين قالوا بالجوهر الفرد هو أبو هذيل العلّاف (ت 234 هـ) فهو رائد النظرية الذرّية الاسلامية، وأهم الكتب التي تورد لنا مذهبه في هذا المجال، هو كتاب الإمام الأشعري (مقالات الاسلاميين) يقول: (إنّ الجسم يجوز أن يفرّقه الله سبحانه ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ)، فكل جسم قابل للانقسام، وهذه القسمة التي يجوّزها العلاف هي قسمة ذات نهاية وغايتها الجزء الذي لا يتجزأ، ويضرب مثلاً لذلك الخردلة لأنها أصغر الأجسام، وإذا صدق تدليله على الخردلة صدق على سائر الموجودات[2].

ويجعل المتكلمون الأجزاء التي لا تتجزأ محدثة وهذا شرط أساسي لوجودها، فيكون هدف القول بالذرية متصلاً بالقول بحدوث العالم، يقول ابن متويه في كتابه التذكرة: (إنّ الدعاوى التي بُني عليها حدوث الجسم لا يفتقر صحة شيء منها إلى أن يُعلم ثبوت الجزء، فيصح العلم بحدوث الجسم لكل من عرفها وإن لم يعرف سواها، إلاّ أنّ القائل بتجزئة الجسم إلى غير غاية له، يلزمه القول بقدم الجسم من حيث أن ما لا يتناهى لا

---

[1]– نشأة الفكر الفلسفي – علي سامي النشّار – دار المعارف – القاهرة ط 8 – 1981 م – 473/1

[2]–مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين أبو الحسن الأشعري تحقيق عبد الحميد – بيروت ط3 – دار احياء التراث العربي، ص 290

يصح وجوده، فكيف يعتقد حدوثه، ثم يعتقد أنه بلا نهاية؟ وهذا يقوده إلى اعتقاد قدمه.. ويوشك أن يكون من قال بقدم الأجسام أن ذهب إلى نفي الجزء لتقارب الاعتقادين).[1]

فمتكلمو المعتزلة يُجمعون على القول بالجوهر الفرد، ثم يفصّلون القول في مسائله، كالجبّائي–الأب–(ت303هـ) الذي يرى أنّ الجواهر هي جنس واحد:(الجواهر على جنس واحد وهي بأنفسها جواهر، وهي متغايرة بنفسها وليست تختلف في الحقيقة، والقائل بهذا هو الجبّائي).[2] وكذلك قال النيسابوري: [3] (ذهب شيوخنا إلى أنّ الجواهر كلها جنس واحد ، وذهب شيخنا أبو القاسم البلخي [4] إلى أنّ الجواهر قد تكون مختلفة كما أنّها قد تكون متماثلة.) [5]

وتتسع المسائل في الجوهر الفرد ومن القضايا المناقش فيها، قضية الجوهر المعدوم فقد ذهب الجبائيّان (أبو علي ت 302 هـ) (أبو هاشم ت 321 هـ) إلى أنّ الجوهر يكون جوهراً في حال عدمه، وهذا يدفع إلى القول بإمكان حصول تحيّز للجوهر في العدم، يقول أبو رشيد النيسابوري:

(اعلم أنّ الذي يذهب إليه الشيخان أبو علي وأبو هاشم أنّ الجوهر يكون جوهراً في حال عدمه) [6] ويوافق الخياط [7] من معتزلة بغداد الجبائيين بل ويُغالي في إثبات

---

[1]– التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض . ابن متويه . ت : سامي نصر لطف ، فيصل بدير عون . دار الثقافة . القاهرة 1975م ص 171 – 172

ابن متويه: هو الحسن بن متويه تلميذ القاضي عبد الجبار (ت 469 هـ)

[2]– مقالات الاسلاميين – الأشعري – ص 308

[3]– أبو رشيد النيسابوري : من متأخري المعتزلة، أخذ عن القاضي عبد الجبار (ت 461 هـ)انظر: الأعلام101/3.

[4]– أبو القاسم البلخي : يلقب (الكعبي) من معتزلة بغداد تتلمذ على يد الخيّاط ، استفاد منه عدة مصنفين في الفرق مثل الشهرستاني – له 17 مؤلف – (ت319 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 313/14

[5]– المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، أبو رشيد النيسابوري تحقيق معن زيادة ورضوان السيد ، ط1بيروت 1979 م ص 29

[6]– المسائل – النيسابوري – ص 37

[7]– الخياط : أبو الحسين البصري المعتزلي البغدادي المعروف بالخيّاط (ت 289 هـ)انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي220/14

المعدوم شيئاً يقول (الشيء ما يعلم ويُخبر عنه، والجوهر جوهر في العدم، والعَرَض عَرَض في العدم). [1]

لكن نجد الكعبي ومتبّعيه من معتزلة بغداد يخالفون الإقرار بشيئية العدم للجوهر وأنه ليس بشيء إنما هو نفي محض. [2]

وبهذا نجد أنّ هناك اتفاق بين متكلّمي المعتزلة على ثبوت الجوهر الفرد، رغم الخلاف بينهم على تحديد صفات موحدّة له ، بين متقدميهم وحتى متأخريهم، فالقاضي عبد الجبّار من متأخري المعتزلة (ت 415 هـ) قد خالف البعض في جزئيات، لكن في النهاية نجده توسّع في مصطلح الجوهر الفرد كما يوضحه عبد الكريم عثمان المتخصص في القاضي عبد الجبار وعلومه، فيذكر أنّ القاضي عبد الجبار استخدم الجوهر الفرد كما استخدمه عامّة المتكلمين في إثبات وجود الله، وللتصدي للفكر اليوناني الملحد القائم على قِدم العالم. [3]

ثانياً: الأشاعرة والقول بالجوهر الفرد.

إنّ الناظر في كتب الأشاعرة يلتمس التطور الحاصل في تاريخ الجوهر الفرد عند المسلمين، فقد أصبح البحث فيها يقوم على تبويب الأفكار وترتيب المقدمات واستخلاص النتائج وتنظيم الأدلة، فأصبح الجوهر الفرد مع الأشاعرة مذهباً فُسّر على أساسه العالم وأكدّ التوحيد، وهذا ما جعل ابن خلدون (808 ت هـ) يرى أنهم هم أصحاب هذه الفلسفة الذرّية، فقال عند حديثه عن الباقلّاني (ت 402 هـ) : (إنّه وضع المقدمات العقليّة التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء، وأنّ العرض لا يقوم بالعرض وأنّه لا يبقى زمانين). [4]

---

[1]– الانتصار والرد على ابن الراوندي – أبو الحسن الخياط – تحقيق ألبير نادر – المطبعة الكاثولوكية – بيروت 1985 م ، ص 78

[2]– انظر – الشامل في أصول الدين – أبو المعالي عبد الملك الجويني – تحقيق علي سامي النشّار ، فيصل بدير عون – منشأة المعارف – الاسكندرية 1969 م ، ص 127 .

[3]– انظر – نظرية التكليف – آراء القاضي عبد الجبار الكلامية – عبد الكريم عثمان – مؤسسة الرسالة – بيروت 1391 هـ ، ص 211

[4]–مقدمة ابن خلدون – دار القلم ط4 بيروت 1981 – ص 465.

إذ يظهر عند الباقلاني نضج القول بالجوهر الفرد يقول : (والمحدثات كلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، فجسم مؤلف، وجوهر منفرد، وعَرَض موجود بالأجسام والجواهر) [1]

ومن أئمة الأشعرية الذين أثبتوا وقالوا بالجوهر الفرد الجويني (ت478 هـ) يقول: (الجوهر الفرد له حظ ثابت من المساحة غير موقوف على انضمام غيره إليه وله قدر غير أنّ ليس لقدره بعض والجوهر بقدر الجوهر).[2]

كذلك يذكر سيف الدين الآمدي (ت 606هـ) الذي يمزج علم الكلام بالمنطق فيقول في الجوهر الفرد : (فالجوهر عبارة عن التحيزّ، وهو ينقسم إلى بسيط ويعبّر عنه بالجوهر الفرد، وإلى مركب وهو الجسم فأمّا الجوهر الفرد فعبارة عن جوهر لا يقبل التجزؤ لا بالفعل ولا بالقوة..) [3].

وقد عرّف شيخ الاسلام الغزالي للجوهر الفرد، وناقش الجزء الذي لا يتجزأ كثيراً في مؤلفاته، مبيناً ومحرراً لمعاني المصطلحات من الناحية اللفظية، وناحية المعنى لكلٍ من الجسم والعرض والجوهر والمركب.[4]

أما الإيجي من متأخري المتكلمين (ت 756 هـ) فقد فصّل في جزئيات القول بالجزء الذي لا يتجزأ من حيث الزمان والحركة ضمن كتابه المواقف، موضحاً انقسام الأقوال في أقل عدد من الجواهر المفردة اللازمة لتكوين جسم، فكان أقلّها جوهران وأكثرها ثمانية ومشيراً إلى إجماع الأقوال على إنكار كون الجسم مؤلفاً من جوهرين فقط، لأن ذلك لا يحقق إلا سِمَة واحدة، واعتبروه واسطة بين الجسم والجوهر الفرد.[5]

4–تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – الباقلاني– تحقيق عماد الدين أحمد حيدر _مؤسسة الكتب الثقافية ط1 – بيروت 1987 ، ص37

الشامل في أصول الدين . الجويني ص 159-5

[3]– أبكار الأفكار – سيف الدين الأمدي – تحقيق أحمد المهدي – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية 1423 هـ القاهرة 271/2

[4]–انظر – تهافت الفلاسفة – أبو حامد الغزالي – تحقيق سليمان دنيا – دار المعارف مصر – ط1 1958 م ، ص89 .

[5]– انظر – شرح المواقف للجرجاني – حاشية السيالكوتي والحلبي – صححه محمود عمر الدمياطي ، ط1 1419 هـ دار الكتب العلمية 321/2–322

ويجزم الأشاعرة بأن كل موجود يصّح أن يرى، ويرى الجويني أنّ (الإدراك لا يفتقر إلى بنية ويجوز قيامه بالجوهر الفرد). [1]

فيفهم من رأيه إمكان إدراك الجوهر الفرد إدراكاً حسيّاً لأن الأعراض وهي الطعوم والألوان... تدرك بالحسّ مع الجوهر الحالِّ فيه.

يتبيّن مما سبق عرضه لأشهر أئمة متكلمي الأشاعرة أنهم تلّقفوا الفلسفة الذرية، ودافعوا عنها، إلى أن بلغ الحدّ أنّهم كفّروا القائلين بانقسام الجزء، ورأوا أنّ نفي الجوهر الفرد يؤدي لهدم قواعد الدين كما ذكر البغدادي (ت 429هـ) في الفِرق [2] وغيره من الأشاعرة. ولمّا كان الإمام الرازي (ت 543 هـ) من أعلام متكلّمي الأشعرية فقد تبنّى نظرية الجوهر الفرد في كتابه معالم أصول الدين، ويذكر أن الجواهر الفردة كلّها متماثلة مهما اختلفت الأجسام الحاملة لها، ولا يكون الاختلاف بينها إلاّ بالأعراض الطارئة عليها.[3] إنما نجد إتّهامه بالرجوع عن قوله بالجوهر الفرد وبطلان دليل الأعراض، وأن ثبات حدوث العالم لا يتوقف عليه في كتابه المباحث الشرقية.[4]

لكن هذه الشبهات الموجهة إليه ردّ عليها الأستاذ سعيد فودة [5] الذي حقق له كتاب نهاية العقول في دراية الأصول، حيث نفى عنه تلك التقولات والافتراءات[6].

---

[1]– لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، الجويني – تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار لبنان للطباعة والنشر 1978م ، ص 191

[2]–انظر – الفرق بين الفرق – البغدادي – دار الآفاق الجديدة – ط 2 ، بيروت 1977 م ، ص 316

[3]–انظر – شرح معالم أصول الدين للرازي – شرف الدين التلمساني – تحقيق نزار حمادي – دار الفتح للدراسات – الأردن ، ط1 1431 هـ ، ص 169

[4]– انظر المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيّات – الرازي – طبعة مجلس دائرة المعارف حيدر آباد 1343 هـ ، ص 207

[6]– سعيد فودة : ولد في الأردن 1967 م – أصله من مدينة يافا – يقيم في الأردن – أستاذ ومحقق في العقائد الاسلامية يلقب (أبي الفداء – سيف السنة) من مؤلفاته – الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية – مقالات في الحداثة. الشابكة الألكترونية .

7 _أنظر. نهاية العقول في دراية الأصول . الرازي . تحقيق سعيد فودة . دار الخزائن . لبنان ط1 1436 هـ 1 / 137

ثالثاً: الماتريدية والقول بالجوهر الفرد.

حذا متكلمو الماتريدية حذْوَ متكلمي الأشاعرة بالقول بالجوهر الفرد، واستخدموها كذلك للدلالة على حدوث العالم.

وأشهر متكلّمي الماتريدية الذي فصّل بالجزء الذي لا يتجزأ، الإمام أبي المعين النسفي (508 هـ) يقول : (إن العالم بجميع أجزائه محدث، إذ هو في القسمة الأولى ينقسم إلى قسمين: أعيان وأعراض، ونعني بالأعيان مالَه قيام بذاته، وهو إمّا مركب وهو الجسم، وإما غير مركب، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، وهو الجوهر في عُرف أهل الكلام).[1]

ونلاحظ توضيحاً للجوهر الفرد وجزئياته، وما يتعلّق بالمصطلحات الضرورية بهذه النظرية عند التفتازاني (792 هـ) فقد خالف الفلاسفة القائلين بوجود الزمن وأنّه مطلق لا نسبي، موافقاً لقول المتكلّمين المسلمين إذ يذكر أن الزمن إمّا ماض أو مستقبل أو حاضر، والأوّلان لا وجود لهما بالضرورة، أما الحاضر فلو وُجد لكان غير منقسم ضرورة امتناع اجتماع أجزاء الزمان، وأجزاؤه هي الآنات، وهي منطبقة على المسافة المطبّقة على الجسم الطبيعي، فيلزم منه وجود أجزاء لا تتجزأ، وهو محال.[2]

المطلب الثاني: المتكلمون النافون للجوهر الفرد:

لئن اعتُبر أبو الهذيل العّلاف شيخ المثبتين للجزء الذي لا يتجزأ، فإنّ هشام بن الحكم [3] هو أوّل من نفاه في الفكر الاسلامي وقد سبق النظّام في ذلك، وللنّاس في هشام رأيان مختلفان، أحدهما أنّه إمام صادق عند من شايعه وكان من أتباعه، وثانيهما

---

[6]–التمهيد في أصول الدين – أبي معين النسفي – تحقيق د. عبد الحي قابيل ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة 1426 هـ، ص14 .

[4]– انظر – شرح العقائد النسفية – التفتازاني – المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ، 2/39–41

[3]–هشام بن الحكم الكوفي: من أعلام القرن الثاني الهجري ،هاجر إلى بغداد، من متكلمي الشيعة، يقال أنه توفي (179هـ)انظر: الفهرست . ابن النديم ص250

ما قاله خصومه فيروه مُلحداً ودهرياً، انتقل إلى الثنوية، ثم غلب الاسلام فدخل فيه كارهاً، فكان قوله في الاسلام بالتشبيه والرفض.[1]

أمّا النظّام (ت 231 هـ) وهو تلميذ واصل بن عطاء (131 هـ) فقد رفض الجوهر الفرد فيقول الخيّاط مبيناً موقف النظّام : (أنكر إبراهيم أن تكون الأجسام مجموعة من أجزاء لا تتجزأ، وزعم أنّه ليس من جزء من الأجسام إلاّ وقد يقسمه الوهم بنصفين) [2]

ويورد الشهرستاني على عادته في منهجه المقارن مذهب النظّام فيقول: (أنّه قد وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ)[3]

ففي الجملة اهتمّ النظّام ببحث الجوهر الفرد، وألّف كتاباً اقتبس منه الأشعري في مقالاته حيث يقول: (وحكى النظّام في كتابه الجزء أنّ زاعمين زعموا أنّ الجزء الذي لا يتجزأ شيء لا طول له ولا عرض له...)[4]

فآراء النظّام في نفي الجزء عميقة، يقول الخيّاط : (وله في هذا الباب مسائل لا يقدر على حلّها وكسرها صاحب الكتاب – أي ابن الراوندي – ولا أمثال ، إنما يقدر على حلّها وكسرها من خالفه في هذا الباب من المعتزلة). [5]

ولعلّ قول المستشرق (باينيس) يعبّر عن الحيرة التي وجدها في رفض النظّام للجوهر، يقول: (يكاد يكون من غير الممكن أن نعرف رأي النظّام على حقيقته بالاستناد إلى هذه المعلومات التّي انتهت إلينا، على أنّ مذهبه في الطفرة،[6] وإجابته عن السؤال في أمر انقسام الخردلة والجبل تجعلنا نفترض أنّه لم يكن بين يديه ما أجاب به الفلاسفة للخروج من المأزق حين قالوا إنّ عدم التناهي في الانقسام إنّما هو بالقوة، والأشبه أنّ آراء النظام لم تكن محددة في هذا الموضوع لكنّها اتّخذت الصيغ المعروفة عند

---

[1]–التنبيه والردّ على أهل البدع والأهواء – أبو الحسين الملطي – تحقيق محمد زاهد الكوثري – مصر 1368 هـ – 1949 م ، ص 31

[2]–الانتصار – الخياط – ص32

[3]–الملل والنحل – الشهرستاني – تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، دار المعرفة بيروت 1984 م 55/1

[4]– مقالات الإسلامين – الأشعري – 15/2

[5]– الانتصار – الخياط – ص 33

[6]–طفرة النظام: هي جواز مرور الجسم من المكان الأول إلى المكان الثالث دون المرور بالثاني.

المتأخرين). [1] ولا بدّ هنا من تحرير محلّ النزاع بين الفريقين ـ المثبتين والنافين ـ إذ النظّام ينفي وجود الأعراض ويَعدُّ ما يسميه المتكلمون أعراضاً بمثابة أجسام، فيروي الأشعري عن النظّام قوله : (الأعراض محالٌ أن ترى وأنّه لا عرض إلا الحركة) [2]

وهنا ينبثق سؤال آخر، وهو بمَ استعاض القائل بلا نهاية التقسيم عن المقدمة الضرورية التي توفرها نظرية نهائية التقسيم فيما يخصّ مبدأ الحدوث؟ فتظهر الإجابة عند ابن حزم (ت 456 هـ) إذ يجد أنّ لا نهائية التقسيم لا تتعارض مع القول بمبدأ الحدوث لأن قدرة الله جلّ جلاله مطلقة. [3]

إنّما يجد الدكتور الطائي [4] في رأي النظّام مسألة أخرى يجدها ضرورية للتعبير عن عن فاعليّة الاختيار الإلهي وقيّومتيه على العالم، إذ وجد كثير من المتكلّمين ضرورة للقول بالأعراض لغّرض التمكن من القول بتجددها، فلكي تتجدد يجب أن تكون طارئة ولكي تكون طارئة، فلا بدَّ من كونها محمولة، وهنا تأتي ضرورة وجود الجوهر، ومعها نهائية التقسيم. [5] وفي الحقيقة يظهر أن الخلاف بين المثبتين والنافين خلاف شكليّ قبل أن يكون جوهرياً، وهو قائم حول اعتبار الإمكان الذهني والتجويز العقلي لا غير، ويمكن تأسيسه على قاعدة عقدية هي الإيمان بقدرة الله تعالى على تشطير الذرة إلى مالا نهاية، بينما القول بالجزء الذي لا يتجزأ، فيؤسس مبدأ الذرة وتأليف الكون منها، وهذا واقع ملاحظ، بل العلم الحديث يؤكده ويؤيده، فمذهب الأشاعرة ذو أسس علمية مستنبط من القرآن الكريم الذي نصّ في آياته على أنّ لكل كم متصل أو منفصل نهاية صغرى يؤول إليها، إما بالتركيب أو بالإضافة ، كما في قوله تعالى : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه } [الزلزلة:7–8] .

---

[1]–النظام وآرائه الكلامية – إبراهيم بن سيّار النظام – ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ص125.
[2]–مقالات الإسلامين – الأشعر ي– ص 362 .
[3]– انظر – الفصل بين الملل والأهواء والنحل – ابن حزم – مكتبة الخانجي – القاهرة – دون تحقيق 93/5 – 94 .
[4]–باسل الطائي : فيزيائي عراقي ولد 1952 م متخصص في نظرية المجال الكمي والنسبية العامة، أستاذ الفيزياء الكونية في جامعة اليرموك، له اهتمام خاص بدقيق الكلام من مؤلفاته (صيرورة الكون).
[5]–انظر – مذهب الذرية عند المتكلمين المسلمين – محمد باسل الطائي – جامعة اليرموك – قسم الفيزياء – أربد – الأردن – ص13

المبحث الثاني: أدلة المثبتين والنافين للجوهر الفرد:

المطلب الأول: أدلة المثبتين للجوهر الفرد

الأدلة على إثبات الجوهر الفرد كثيرة، لذلك ستحاول الباحثة تبويبها والتركيز على أهمّها، فمن الأدلة ماهو حسّي، فلا يُنكر أغلب المتكلّمين إمكان إدراك الجوهر الفرد إدراكاً حسيّاً، ولئن قال هشام الفوطي [1] بإثبات الجزء الذي لا يتجزأ ولم يُجِزْ عليه أن يُماسّ أو يباين أو يُرى. [2] فإنّ العّلاف أجاز أن يُفرده الله فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له،[3] وكذلك قول ابن متويه (اعلم أن الجواهر مدركة رؤيةً ولمساً) [4].

ويؤيد الرؤية الجويني بقوله : (الإدراك لا يفتقر إلى بنية ويجوز قيامه بالجوهر الفرد).[5] ويدَّلّل الآمدي بدليل استخدام تماس الكرة على سطح بسيط، فلا بدّ أن يكون التّماسُ بجزء لا يتجزأ، وإلا كان في سطحها خط مستقيم أو سطح مستوٍ ولم تكن كرة حقيقية، فإذا كان ذلك الجزء جوهراً فهو المطلوب، أو عرضاً ففيه المطلوب. [6]

ويذكر الباقلاني دليل الفيل والنملة وتفاوت المقادير بين الأجسام إنّما يكون بتفاوت الأجزاء قطعاً، وإلاّ لما كان الجبل أعظم من الخردلة. [7]

ويحتجّون بدليل عقلي منطقي بأن الله تعالى قادر على أن يخلق في أجزاء الجسم الافتراق بدل الاجتماع فثبت الجزء الذي لا يتجزأ، إذ لو بقي قبول التجزؤ لبقي الاجتماع بالقوة ولزم العجز وقدم العالم، فإنّ مقاطع الأجزاء متمايزة بالفعل، وذلك لأنّ مقطع النصف غير مقطع الثلث ضرورة، وكذا الربع والخمس بالغاً ما بلغ وذلك يوجب التمايز

---

[1]– هشام الفوطي : من معتزلة الطبقة السادسة، كان مقرّباً للخليفة المأمون تنسب إليه فرقة الفوطية (ت 226 هـ)انظر:سير أعلام البلاء 547/10

[2]– مقالات الإسلاميين – الأشعري 15/2

[3]–مرجع سابق – 14/2

[4]–التذكرة – ابن متويه – ص 53

[5]–الشامل في أصول الدين – الجويني – ص 183 .

[6]–انظر – أبكار الأفكار – الآمدي – 280/2

[7]– انظر – الإنصاف – الباقلاني – تحقيق محمد زاهد الكوثري ، ط3 ، 1413 هـ مكتبة الخانجي القاهرة ، ص22

بالفعل[1]. ثمَّ لو كانت المسافة مركبة من أجزاء غير متناهية لامتنع قطعها في زمان متناه، ولم يلحق السريع البطيء، وبطلان اللازم دليل بطلان الملزوم، وكذلك فإنّ الجوهر الفرد محصور بين الطرفين، وانحصار ما يتناهى بين الحاصرين مُحال. [2] وبعدُ، يستخدمون أدلة خطابية جدليّة ملزمة لقولهم ويوجبون الجزء الذي لا يتجزأ. [3]

أمّا العلاّف فيشفع أدلته العقلية بدليل نقلي من القرآن الكريم ليدعم رأيه كقوله سبحانه وتعالى:{ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} (الجن 28) وقوله جلّ جلاله: { بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ } (فصلت 54)•

فوجب أن يكون كل شيء قابلاً للإحاطة والعدّ أي متناهياً، لأن الإحاطة لا تكون إلا لمتناهٍ ذي غاية.[4] فالعلاّف لم يلجأ لتفسير لفظي أو ذوق صوفي" كما أشار النشّار" ولا ولا توقف مع ظاهر الآية، بل اقتنص فيها مذهب الذرّات من نسق الفلسفة العام ووضعه في صورة إسلامية واضحة المعالم[5].

المطلب الثاني: أدلة نفاة الجوهر الفرد:

احتجّ النفاة بحجج متعددة، متناثرة في كتب الكلام والفلاسفة، ولهذا ستذكر الباحثة بعض الأدلة الأكثر وضوحاً من غيرها، وهي كالتالي:

_إذا ركّبنا خطّاً من ثلاثة أجزاء متماسّة، ووضعنا على طرفي هذا الخط جزأين، فعلى هذا التقدير بقي ما فوق الجزء الوسطاني خالياً، فإذا فرضنا أن الجوهرين الموضوعين على طرفيّ الخط تحركا إلى الوسط لزِمَ أن يصير كل واحد منهما مماسّاً لنصف الجوهر الوسطاني، وذلك يُوجب القسمة.

---

[1]– انظر – شرح المواقف للإيجي – الجرجاني – دار الجيل ، بيروت 2006 – 335/2

[2]–شرح الأصول الخمسة – القاضي عبد الجبار – تحقيق عبد الكريم عثمان ، ط3 1416 هـ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ص192

[3]– انظر – شرح العقائد – التفتازاني 83/2

[4]– انظر – الانتصار – الخياط ، ص 17.

[5]– نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام – علي سامي النشّار – دار المعارف – ط8 ، القاهرة 1981 م ، 473/1

_كلّ متحيزّ فهو متناهٍ، وكلّ متناهٍ فإنه يحيط به حدّ وحدود، فإن أحاط به حدٌ واحدٌ فهو الكرة، وإذا تلاصقت الكرات حصلت فيما بينها فُرَجٌ بحيث يكون كل واحد من تلك الفُرَج أصغر من كلّ واحدة من تلك الكرات، فقد وُجدَ شيء أصغر من الجوهر الفرد فينقسم الجوهر الفرد. [1]

_إذا فرضنا خطاً مركباً من أربعة أجزاء ووضعنا فوق طرفه الأيمن جزءاً وتحت طرفه الأيسر جزءاً آخر، وفرضنا أنّ هذين الجزأين ابتدآ بالحركة معاً وانتهيا معاً، فمن الضرورة أنّ كلّ واحد منهما لمّا مرَّ بالآخر فقد تحاذيا، والمحاذاة لا تحصل إلّا عند وقوع كلّ واحد منهما على متصل الثاني والثالث، ومتى كان الأمر كذلك كانت القسمة لازمة. [2]

المبحث الثالث: نظرية الجوهر الفرد في منظور العلم الحديث:

المطلب الأول: علاقة علم الطبيعيات بالجوهر الفرد:

الإنسان والطبيعة هما القطبان الأساسيّان للموقف العلمي، فالموضوع المحوري للطبيعيّات الكلاميّة هي العلاقة بين الله وبين العالم أو الطبيعة.

إذ تستنطق الطبيعيّات الفحوى الجوهري أو الثابت البنيوي في علم الكلام القديم، فتقوم على دليل الحدوث الذي لا يعدو أن يكون عملية قياس للغائب (الإلهيّات) على الشّاهد (الطبيعيّات) كما أشار حسن حنفي(3).

ومصطلح الجوهر الفرد استبدّ بالأنطولوجيا الكلامية فأصبح حجر الزاوية والممثل الرسمي للطبيعيات الكلامية، فالذرة هي محاولة لتفسير العالم الطبيعي وفهمه، أما

---

[1]–الأربعين في أصول الدين – الرازي – تحقيق أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ص 260

[2]–تهافت الفلاسفة – الغزالي – ص 147 .

3 . انظر: من العقيدة إلى الثورة ، حسن حنفي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1988م ص291

الأنطولوجيا : البحث الفلسفي الذي يعرض نظرية للوجود في استقلال عن أشكاله وأنواعه الخاصة. الشابكة الالكترونية.

الثيولوجيا : الدراسة لمنطقية المنهجية المتعلقة بالدين والروحانية تحلل منطقيا حجج وجود الله تعالى . الشابكة الالكترونية

الجوهر الفرد فهو محاولة لتفسر علاقة الله بالعالم في دائرة مغلقة من الثيولوجيا إلى الأنطولوجيا وبالعكس.

ولمّا كان التوحيد صُلب عقيدة الاسلام كان تناهي المادة هو دليل المتكلمين الاستقرائي على القدرة الإلهية التي تشمل العالم. [1]

المطلب الثاني: رأي بعض العلماء المسلمين المعاصرين بالجوهر الفرد.

نبدأ برأي الدكتور محمد عابد الجابري(2) في كتابه القيّم نقد العقل العربي المترجم لعدّة لغات_ الذي ناقش وحلّل وتوصّل لاستنتاجات في نظريّة الجوهر الفرد الكلاميّة، فيرى الجابري أنّ المرجع المعرفي للنظرية ولجميع تبعيّاتها الأنطولوجية والعقديّة كالقول بالعادة وإنكار السببيّة هو (الرؤية البيانيّة) للعالم التي سيّرت طريقة المتقدمين والتي لم تُزِدها (الرؤية البرهانية) المميزة لطريقة المتأخرين إلاّ تفريعاً، وذلك فيما سمّاه (هروباً إلى الأمام) يقول الجابري:(مبدآن يحكمان الرؤية البيانّية العالمة للعالم: مبدأ الانفصال ومبدأ التجويز والمبدآن متكاملان، وتكرّسهما على نطاق واسع نظرية الجوهر الفرد، وتنصّ النظرية... أن العلاقة بين الجواهر الفردة التي تتألف منها الأجسام والإحساسات وكل شيء في العالم هي علاقة تقوم على مجرد التجاور والاحتكاك لا على التداخل... والنتيجة أن هذه العلاقة علاقة اقتران وحسب وليس علاقة تأثير.) [3] [4]

1. بتصرف أنظر : الطبيعيّات في علم الكلام . يمنى الخولي . مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . القاهرة . 2012 م ص96 وما بعدها
ملحوظة : ترى يمنى الخولي –أستاذ فلسفة العلوم ومناهج البحث بكلية القاهرة– أنّ أصل الذرة الإسلامية هو الذرة اليونانية.
2 . محمد عابد الجابري : مفكر و فيلسوف ولد في المغرب 1936م له 30 مؤلف في قضايا الفكر المعاصر . (ت 2010 م)
3. نقد العقل العربي – محمد عابد الجابري – دار الطليعة – بيروت ط1 1984 م ص 67 – 64 – 240 – 232
4– خالد الدرفوفي : من مواليد مدية وجدة بالمغرب الإسلامي بجامعة القرويين و شهادة في الصيدلة و شهادة في الجزع المشترك في البيولوجيا و الجيولوجيا . شهادة ماجستير في العقيدة بالغرب الإسلامي بجامعة القرويين و شهادة في الحوار الحضاري .

وخير من نقد التحليل الجابري لنظرية الجوهر الفرد الأستاذ خالد الدرفوفي [4] فيذكر أنّه بنقده هذا يكون أمام طود شامخ من أعلام الفكر الاسلامي المعاصر، فأعطى الدرفوفي ملاحظاته التي نقد من خلالها أقوال الجابري.(5)[1]

إنّما الجدير بالإضاءة ضمن آراء العلماء المسلمين بنظرية الجوهر الفرد هو رأي الأستاذ الدرفوفي، إذ إنّ كتابه هو الكتاب المعاصر الخاص الذي هو من جنس نظرية الجوهر الفرد، فتحدث فيه عن جانبي النظرية الأنطولوجي والعقدي من تحليل ومناقشة لمصطلحات المتكلمين وما يقابلها من مصطلحات وقوانين الكم الفيزيائي الحديث، وكذلك عالج الجانب المعرفي الابستمولوجي(6) للنظرية. إذ يبيّن أنه من الصحيح قول أنّ جميع أجسام الكون من صلب وسائل وغازي مكّون من جواهر فردة متماثلة، إنّما باعتبار المجموع متماثلة لكن باعتبار آحادها مختلفة تماماً.

ثم يفصّل – الدرفوفي – أقسام الذرة ومكوناتها وبعض القوانين الفيزيائية ويقارنها مع تعريف جمهور المتكلمين للجوهر الفرد ويصل إلى أنّ :(الجوهر الفرد ليس المركب الذرّي ولا الذرة بالمفهوم الفيزيائي، ولا البروتونات والنيوترونات المكوّنة لنواتها إذ هي بدورها قابلة للإنشار إلى جسيمات أدقّ منها، ومن ثمّ فإن الذي ينطبق عليها بالأحروية هو التعريف الكلامي "الجسم" لا "الجوهر" الفرد) [2] ويتابع القول إذ يبقى عدة مرشحات أخرى لتنطبق على الجوهر الفرد مثل – الكوارك – البوزون – الالكترون – وغيرها.

والنتيجة المهمة من تحليلاته وآراءه قوله : (جدار بلانك يُثبت الجزء الذي لا يتجزأ ولو بالفرض الزماني والمكاني المقدّر، والنتيجة أنّه حتى لو كانت هناك جسيمات أدقّ

---

[5] . انظر : نظرية الجوهر الفرد – الدرفوفي – ص 114

6– الأبستمولوجيا: أي نظرية المعرفة، أحد فروع الفلسفة وتعني إمكان المعرفة ومصادرها وطبيعتها . الشابكة الالكترونية.

[2]– نظرية الجوهر الفرد – الدرفوفي – ص 95

جدار بلانك (mur de planck) يمنع تقسيم الزمن الى أقل من 10 ثانية مسافة أقل 10 متر والمسافة جزء من التحيّز الذي تشغله المادة فلا يمكن تقسيم المادة الى أقل مما من شأنه شغل الحيّز .

[2]– بتصرف أنظر : نظرية الجوهر الفرد . الدرفوفي ص 100 . 103

4. مرجع سابق ص 107 .

من الكوارك والالكترون والفوتون في اللحظات الأولى لخلق الكون، يمنع الاسترسال من تقسيمها إلى ما بعد هذا الجدار، فالجزء الذي لا يتجزأ ثابت على الأقل على مستوى جدار بلانك باعتبارات الفيزياء برمّتها تنهار دونه.. وكذلك أكدّ القول بأنّ الجوهر لا يخلو من العرض هو قول صحيح علمياً.) [2] .

ويتابع الدرفوفي حديثه عن الذرة فيبيّن بُنية الذرة وأنّها ليست بسيطة ولا ممتنعة الانقسام، بل هي مكونة من ائتلاف عدد من جسيمات تشترك فيها جميع الذرّات ومن ثمّ جميع ما في الكون من أجسام.

فالذرة مكوّنة من:

1– جسميات المادة الأوليّة (الفرميونات) المؤلفة من بروتون + نيوترون + الكترون.

2– جسيمات القوى (البوزونات) [3] لتماسك الذرة المؤلفة من قوة كهرمغناطيسية (فوتون) + تفاعل نووي قوي (الصمغيات) + تفاعل نووي بسيط.(4)

هذه القوى الثلاث هي أُسس الفيزياء الحديثة المسماة (ميكانيكا الكم).

وأشار – الدرفوفي لحجم الذرة وأنّ هناك فرقاً شاسعاً بين حجم الذرة ككل وحجم نواتها، أي 99,999 % من حجم الذرة فراغ أو خلاء على حدّ اصطلاح المتكلمين.. وكذلك وضّح أن للجوهر الفرد زمان ومكان عند المتكلمين وعند علماء ميكانيكا الكم [1] (5).

وأخيراً يرى أنّ النظرية أثبتت جذورها في فترة كانت المعطيات هي الفلسفة والمنطق، وأنّها كذلك أثبتت تطابقها مع ما توصلّت إليه فيزياء الكم الحديثة.

إذ يلزم النظرية حسب رأي الدرفوفي التنقيح لتكون أرضيّة مشتركة مع ذوي الاختصاص من الفيزيائيين، فيرى إشراقات وكنوز في علم الكلام ودقيقه لحلّ إشكاليات فيزيائية حديثة لأنه يعتمد في فهم الوجود على الوحي الرباني فالقرآن الكريم تحدث عن

---

[3] – البوزون: هو النموذج المعياري الذي استطاع سبر جميع القوى الأربع الموجودة في الطبيعة بواسطة جسيمات تمثّل وسائط حاملة تثبت القوى.

[5]– انظر : نظرية الجوهر الفرد – الدرفوفي ، ص 55–70–95

الفتق العظيم – اتساع الكون – تطور الأجنّة – فكثير من مقدمات ومقالات المتكلّمين الأنطولوجية أقرب إلى الحق بمنظور العلم الحديث. [1]

ونأتي لبيان رأي الدكتور الفاضل سعيد فوده في نظرية الجوهر الفرد.

إذ يذكر أنّ هناك مَدخلية بين التصوّر العقائدي وبين التصوّر الكوني، فحدوث العالم لا يقوم على إثبات الجوهر الفرد، بل على التغيّر في العالم، ومطلق التغيّر أعمّ من أن يكون حالّاً في الجوهر الفرد أو غيره.

فيوضح _ سعيد فودة _ مفهوم الجوهر الفرد بأنّه عبارة عن جسيمات أوّليّة يتكوّن منها العالم، تؤول إلى تغيّرات في العالم، وأنّه ليس كلّ جوهر فرد يساوي الجوهر الآخر بل يجوز فيها التفاضل والتفاوت في ماهيّتها ،فإثبات الجوهر الفرد أو إنكاره من قِبل بعض الأئمة وخاصة الأشعرية، لا يؤثر أبداً في دليل حدوث العالم، فليس هنالك ضرورة بدهية لإثبات الجوهر(2).

بل إنّ كثيراً من محققي المتكلمين لم يشترطوا عندهم لإثبات وجود الله، إثبات الجوهر الفرد.

ثم يذكر أنّ الجوهر الفرد هو البوزون، وأنّ نظرية الجوهر الفرد توافق إحدى أحدث النظريتين الفيزيائيتين الحديثتين لإثبات الوجود، وهما نظرية الفيزياء الجسيمية التي تفسّر الكون على أنّه جسيمات معدودة معيّنة لا أجزاء لها، ولكلّ منها ماهيّات بحدّ ذاتها وهي أوّليّات، وأنّها هي التي تعبّر عن الجوهر الفرد، كما يراها سعيد فودة، أمّا النظرية الثانية فهي نظرية الأوتار المتموجة.[3][1]

المطلب الثالث: المفهوم الرياضي للجوهر الفرد:

يعالج الدكتور باسل الطائي الجزء الذي لا يتجزأ كمفهوم تجريدي عند العلاّف وكمفهوم مجسّد عند الأشاعرة، ويذكر أنّه لدى المعتزلة ليس له أبعاد وبالتالي فهو أشبه

---

[1]– انظر: نظرية الجوهر الفرد . الدرفوفي . ص 120 ، 124 .

2 . نظرية الجوهر الفرد ولماذا نبحث في هذه المواضيع؟ سعيد فودة .موقع https:// youtube/csz7wfactvo

3 . نظرية الجوهر الفرد ولماذا نبحث في هذه المواضيع؟ سعيد فودة موقع https:// youtube/csz7wfactvo

بالنقطة، أي ليس نقطة لأن النقطة مفهوم هندسي بحت، على حين أن الجزء الذي لا يتجزأ هو موجود مادي له معنى أنطولوجي، ويجده – الطائي – يقارب مفهوم الفضلة اللامتناهية في الصغر عند الرياضيين في حساب التفاضل والتكامل.

أما الجزء عند الأشاعرة كالجويني فهو يقابل ما يسمى الفضلة المحدودة عند الرياضين(1).

على أنّ الفرق بينهما – اللامتناهية ، المحدودة – هو أنّ اللامتناهية نتاجٌ لتصغير الفضلة المحدودة حتى يكون عددها لا نهائياً.

فيكون للجزء عند العلاف صفات هي الأعراض التي يحملها فيجعل منه مفهوماً فيزيقياً، على حين يبقى مفهوم الفضلة اللامتناهية في الصغر مفهوماً رياضياً بحتاً.(2) [1]

الخاتمة:

في نهاية المطاف تتجلى نتائج ما جاء في البحث كما يلي:

- أبو الهُذيل العلاّف أول من فتح الباب وتحدث بالجوهر الفرد ثم تَبِعه كبار نُظّار المعتزلة.
- اتّهام المستشرقين بأنّ أصل ذرية المسلمين هو يوناني أو هندي هو تجوّز وتعسّف، إنما لا يُنكر التأثر الخارجي كما هو حال الفكر الإنساني عموماً.
- الاختلاف الجوهري بين ذرّية المسلمين وذريّة اليونان يؤكد أصالة الذرية لدى المتكلمين المسلمين.
- اتفاق جمهور المعتزلة على القول بالجوهر الفرد ابتداءً بالعلاّف ومروراً بالجبّائي وبقية أئمتهم، مع اختلافهم في تفاصيل الجوهر الفرد وتحديد صفاته.

[1]–انظر: الشامل في أصول الدين . الجويني ص 184

2 . انظر: مذهب الذرية عند المتكلمين المسلمين – باسل الطائي – جامعة اليرموك – قسم الفيزياء – أربد – الأردن ، ص 28–29

- ازدهار نظرية الجوهر الفرد عند جمهور الأشاعرة ابتداءً بالأشعري ومروراً بالباقلاني والجويني والآمدي والغزالي والبغدادي.
- قول الرازي بالجوهر الفرد ثمّ الرجوع عن القول به وتحقيق ذلك.
- إثبات الجوهر الفرد لدى الماتريدية مثل النسفي .
- هشام بن الحكم والنظّام هم المتكلّمون المسلمون الذين نفوا الجوهر الفرد.
- استدلال المثبتين والنفاة بالأدلة العقلية المنطقية، الخطابية الإلزامية الجدلية ، واعتمادهم البيان العربي أساساً لذلك.
- الرؤية البيانيّة والبرهانية للجوهر الفرد عند الجابري أدى لتفريعات كثيرة للنظرية.
- إثبات خالد الدرفوفي للجوهر الفرد في فيزياء الكم الحديثة عند جدار بلانك.
- إثبات سعيد فودة للجوهر الفرد بأنه الجسيم الأولي البوزون، وأنّ نظرية الجوهر الفرد توافق بعض النظريات الفيزيائية الحديثة.

التوصيات:

الاهتمام بأبحاث تُعنى بالجمع بين نظريّات المتكلّمين القديمة المثبتين للجوهر الفرد، وبين الآراء المعاصرة للعلماء القائلين بالجوهر الفرد، لاستخراج نواحي عقدية وجودية تربط بين علم الكلام الإسلامي والنظريّات الفيزيائية الحديثة .

المراجع:

*الآمدي، سيف الدين– أبكار الأفكار– تحقيق أحمد المهدي – مطبعة دار الكتب والوثاق القومية 1423 هـ القاهرة.

*الآمدي، سيف الدين– المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين –تحقيق حسن محمود الشافعي – مكتبة النهضة 1946م.

* الأخرس، طلعت . أبو هذيل العلّاف وآراؤه الكلامية والفلسفية . . مكتبة الأخرس . دار خضر للطباعة والنشر بيروت . ط1 1994م

* ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون – دار القلم ط4 بيروت 1981 م

*الأشعري، أبو الحسن – مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين –تحقيق عبد الحميد – 0 بيروت ط3 ، دار احياء التراث العربي.

*النظّام، ابراهيم بن سيّار . النظام وآرائه الكلامية — ترجمة عبد الهادي أبو ريدة.

*الباقلاني ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل –تحقيق عماد الدين أحمد حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية ط1 ، بيروت 1987م

*البغدادي . الفرق بين الفرق — دار الآفات الجديدة – ط2 – بيروت 1917 م.

*البيروني، أبو الريحان – الفلسفة الهندية مع المقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الاسلامي –مراجعة – د. عبد الحليم حمود – عثمان عبد المنعم خفاجي – مطبعة أحمد عيسى مخيمر.

*باينس، شلومر– مذهب الذرة عند المسلمين –ترجمة حمو علي أبو ريدة – مكتبة النهضة المصرية 1946م.

*التفتازاني – شرح العقائد النسفية –المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.

*التلمساني، شرف الدين– شرح معالم أصول الدين الرازي –تحقيق نزار حمادي – دار الفتح للدراسات والنشر – الأردن ، ط1 ، 1431 هـ.

* ابن تيمية– منهاج السنة النبوية –تحقيق محمد رشاد سالم – مكتبة الخياط – بيروت.

*الجابري، محمد عابد– نقد العقل العربي– دار الطليعة بيروت. ط1، 1984م.
*الجرجاني – شرح المواقف للإيجي –دار الجيل بيروت – 2006 م
*الجويني، أبو المعالي عبد الملك– الشامل في أصول الدين –تحقيق علي سامي النشّار – فيصل بدير عون – منشأة معارف الاسكندرية 1969م.
*الجويني – لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة –تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان – دار لبنان للطباعة والنشر 1978م.
* ابن حزم– الفصل بين الملل والأهواء والنحل –مكتبة الخانجي – القاهرة دون تحقيق .
*حنفي، حسن –من العقيدة إلى الثورة – مكتبة مدبولي ، القاهرة 1988م
*الخياط، ابو الحسن – الانتصار والرد على ابن الراوندي –تحقيق ألبير نادر – المطبعة الكاثولوكية – بيروت – 1985م.
*الخولي، يمنى طريف– الطبيعيات في علم الكلام –مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة 2012م *الدرفوفي، خالد – نظرية الجوهر الفرد الكلامية وتفريعاتها الوجودية والعقدية في ضوء العلم الحديث – الرابطة المحمدية للعلماء – مركز أبي حسن الأشعري.
*الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ) سير أعلام النبلاءدار الحديث القاهرة 2006م
*الرازي – الأربعين في أصول الدين –تحقيق أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
*الرازي – المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات –طبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر – آباد – 1343 هـ
*الرازي . نهاية العقول في دراية الأصول –– تحقيق سعيد عبد اللطيف فودة – دار الذخائن لبنان ط1 ، 1436 هـ
*الزركلي، خير الدين (ت1396هـ) الأعلام . دار العلم للملاين ط15 (2002 م)

*الطائي، محمد باسل– مذهب الذرية لدى المتكلمين المسلمين –جامعة اليرموك – قسم الفيزياء – أربد الأردن

*الطوسي، علاء الدين– شرح التجريد على المواقف –دار الطباعة العامرة.

*عبد الجبار، القاضي– المغني في أباب التوحيد والعدل –تحقيق محمد علي النجار – مطبعة عيسى البابي – القاهرة – 1965م.

*عبد الجبار، القاضي– شرح الأصول الخمسة –تحقيق عبد الكريم عثمان ط3 ، 1416 هـ – مكتبة وهبة القاهرة.

*عثمان، عبد الكريم – نظرية التكليف – آراء القاضي عبد الجبار الكلامية –مؤسسة الرسالة – بيروت 1391هـ

*الغزالي، أبو حامد– تهافت الفلاسفة –تحقيق سليمان دنيا – دار المعارف مصر – ط1 ، 1958م.

*فودة، سعيد . موقع https:// youtube/csz7wfactvo

* ابن متويه، الحسن النجراني (ت 469 هـ)– التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض – تحقيق سامي نصر لطف – فيصل بدير عون – دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة 1975م

*الملطي، أبو الحسن– التنبيه والرد على أهل البدع والأهواء –تحقيق محمد زاهد الكوثري – مصر – 1368هـ

*النسفي، أبي المعين– التمهيد في أصول الدين –تحقيق د. عبد الحي قابيل ، دار الثقافة للنشر – القاهرة ، 1426 هـ .

*النشار، علي سامي– نشأة الفكر الفلسفي –دار المعارف – القاهرة ، ط8 ، 1981 .

*النيسابوري، أبو رشيد– المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين –تحقيق معن زيادة – رضوان السيد ط1 ن بيروت 1979 م.